المملكة المغربية
جامعة السلطان مولاي سليمان
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
ببني ملال

مجلة كلية الآداب
بني ملال

سنوية علمية محكمة تعنى بالعلوم الإنسانية

العدد: 10 2009

المملكة المغربية

جامعة السلطان مولاي سليمان

* * *

مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال

سنوية علمية محكمة تعنى بالعلوم الإنسانية

المدير المسؤول :

د. بناصر وسكوم

المدير المساعد :

د. محمد التاقي

هيئة التحرير

- مولاي إدريس ميموني
- محمد بالأشهب
- عبد القادر آيت الغازي
- عبد المجيد أزمو
- خالد وزاني
- رشيد حمدي
- خالد شاوش

اللجنة العلمية

- كوبالي جمال
- نزهي عز الدين
- الخاوة صباح
- شبار سعيد
- العضراوي عبد الرحمان
- أزهري محمد
- موهوب موراد
- الخالقي يحيى
- مداد محمد
- أكريم عبد العزيز
- حواش محمد
- العاملي محمد

التصحيح والتحيين والمساعدة التقنية :

محمد نصيحي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

أولاد حمدان ، ص . ب : 524

الهاتف : 81 46 48 23 05

الفاكس : 72 17 48 23 05 / 96 71 48 23 05

د.إ.ق:
1995 / 39

العدد:
2009 / 10

MANIBEL Print Imprimerie

94 Bd Abdelkarim Khattabi
Beni-Mellal - Tél.: 05 23 42 21 56
Fax: 05 23 48 24 68

الفهرس

* الهوية القرآنية وصواب التأويل الخطاب النظري والخطاب الخبري
أحمد العلوي 7

* قضايا الدلالة في اللغة العربية بين الأصوليين واللغويين المشترك اللفظي نموذجا
مولاي إدريس ميموني 29

* نظرات نقدية في المنهج والأصول لقضايا إعجاز القرآن دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني نموذجا
مليكـــة حفـــان 49

* التخطيط اللغوي: قضايا وخصائص وحاجات
ثريا خربوش 63

* تطور النظرية اللغـــــــــــوية: الزجاجي والتفسير اللغوي
بوشعيب برامو 77

* الخلفيات الفكرية الموجهة للقراءات الحداثية للقرآن الكريم
سعيد شبار 87

* تفاعلية عتبة الموافقات مع المتن المقاصدي التأسيسي
عبد الرحمان العضراوي 113

* مقاصد الوقف وإسهامه في بناء الحضارة الإسلامية
جمال سطيري 143

* حكم الأسرى في الإسلام من خلال بعض كتب التفسير
محمد نصيحي 157

* نظم المعلومات الجغرافية أداة لخدمة التهيئة والتدبير الحضري حالة مدينة صفرو
يحيى الخالقي ومحسن إدالي 165

* قروئية المجال: المنظورية والتمثل : مقاربة سوسيوجغرافية
محسن إدالي 177

* أسرة بربرية أندلسية: آل عباس بن ناصح 195
محمد حقي

* الصابئون الذميون: عقائدهم الدينية وعباداتهم 201
عبد العزيز الضعيفي

* نكبة علماء آل أقيت: الأبعاد والدلالات 215
عبد القادر أيت الغازي

* قراءة في كتاب "المغرب في تاريخه المنسي
جوانب من تاريخ المغرب الحديث بعيون عربية لصاحبه أحمد المكاوي 231
عبد المجيد بهيني

أسرة بربرية أندلسية: آل عباس بن ناصح

محمد حقي
كلية الآداب – بني ملال

سيطر الطابع القبلي والعشائري على المجتمع الأندلسي طيلة القرون الثلاثة الأولى للوجود الإسلامي بهذه العدوة ، حيث كانت العشيرة وأحيانا الأسرة الممتدة الإطار المناسب لكل أنشطة الأفراد وإبداعاتهم وعطاءاتهم. وسمح هذا الوضع بطفو مجموعة من الأسر الكبيرة على سطح الحياة الأندلسية وتحريكها في ميادين مختلفة ولفترات تعاقب فيها أبناؤها على نفس المواقع أو مواقع متقاربة مستفيدين من دعم كل الأسرة التي تغار وتحرص بقوة على استمرار ما تعتبره مكسبا وإقطاعا خاصا بها. وقد أعطى هذا الوضع ما يشبه الطبقات المغلقة (Caste)، مما جعل التسرب إلى هذه الأوساط شبه مستحيل. ولم يكن البربر خارج هذا الإطار لأن عددا من الأسر ومنذ بداية القرن الثالث الهجري اشتهرت في ميادين الإدارة والجيش والقضاء والتجارة والعمارة ... ومن هذه الأسر نختار أسرة آل عباس بن ناصح لنسلط عليها الضوء ونتتبع أنشطتها ونحدد موقعها داخل مجتمع الأندلس.

1- أصل الأسرة

تجمع المصادر على أن الأسرة تنحدر من ناصح بن يليت الثقفي أو ناصح بن يليت بن قطري الأودي المصمودي[1]، لكن رواية منفردة تجعل قبيلة ناصح نفزة الزناتية بدل مصمودة[2]. وتداول الأصل الزناتي بكثرة يجعلنا نميل إلى اعتماده وترجيحه.

وناصح مولى لمزاحمة بنت مزاحم الثقفي، وقد اكتسب ولاءه من الرق لأنه كان من سبي البربر أثناء حركة فتح المغرب[3]. وقد سمح له هذا الوضع بالاحتكاك المبكر بالعرب والنشأة وسطهم. ونرجح أن يكون سبيه قد تم وهو طفل أو شاب يافع، لذلك يمكن اعتباره من المستعربين البربر الذين دخلوا الأندلس بهذه الصفة. وهذا الأمر يجعلنا نستنتج أن ناصحا لم يكن من بربر الفتح

1 – ابن الفرضي، تاريخ العلماء، مكتبة الخانجي، القاهرة،1988، ج 1، ص. 341، عياض، ترتيب المدارك ، مطبعة فضالة ، المحمدية، ج 8 ، ص. 268 ، الخشني، أخبار الفقهاء و المحدثين، مدريد، 1992، ص. 284 .
2 – عياض، المصدر السابق، ص. 268 .
3 – ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، دار المعارف، مصر، ج 1 ، ص. 324 .

بل؛ هو وفي أحسن الأحوال، من الذين التحقوا بهذه البلاد في ظل الحكم الأموي، واستقراره ومواليه في الجزيرة أقصى جنوب الأندلس؛ ربما، يقوم دليلا على ذلك ما دامت أغلبية بربر الفتح قد استقرت في الشمال.

ينعت ناصح بالثقفي نسبة إلى مواليه من ثقيف، ويسمى أيضا أوديا نسبة إلى قبيلة أود[4]، لكن النسبة الأولى أغلب عليه، وولاؤه لثقيف بالعتق يوحي بأنه استقر في الجزيرة بشكل فردي ووسط جماعة من عرب ثقيف.

2 – صعود الأسرة إلى السطح و مؤسسها

ارتبط اسم الأسرة أساسا بالشخص المدعو عباس بن ناصح، أبو العلاء[5]. ونجهل كل شيء عن تاريخ ولادته أو وفاته، وتنحصر معلوماتنا عن حياته في كونه عاش على عهدي الحكم الربضي (180هـ/796م- 206هـ/ 821م) وعبد الرحمن الثاني (206هـ/821 م-239هـ/853م)[6].

اعتنى ناصح بابنه عباس فرحل به منذ صباه المبكر وتردد به بين أحياء العرب في مصر والحجاز والعراق وخاصة الكوفة والبصرة طلبا للغة. والتقى في رحلته الأصمعي وعلماء آخرين من المدينتين[7]. ويظهر أن الرحلة أكسبته علما واسعا باللغة وتطبعا فيها للحد الذي سمح له بنهج مسلك العرب الأوائل في شعره[8]. وتكررت رحلاته إلى المشرق، وخصص إحداها لجلب كتب التنجيم لعبد الرحمن الأموي[9]، ورحل في أخرى لملاقاة الحسن بن هانئ في العراق وقضى رفقته سنة كاملة وشهد له بالإبداع في الشعر والنبوغ فيه[10]. واشتهر عباس بن ناصح بولعه بأخبار شعراء المشرق فلا يكاد يلتقي أحدا من المشرق أو قادما منه حتى يغرقه بأسئلته حول آخر إبداعاتهم والأسماء الجديدة التي ظهرت هناك[11].

إن الولع بالعلم والسفر من أجل طلبه وجمعه قد جعل عباسا "من أهل العلم باللغة والعربية(...)

---

4 – الخشني ، المصدر السابق ، ص. 284.

5 – نفســه وعياض ، المصدر السابق ، ج 8 ، ص.268 وابن سعيد ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص. 45 و ابن الفرضي، المصدر السابق، ج 1 ، ص. 340 والزبيدي ، طبقات النحويين و اللغويين ، دار المعارف ، القاهرة ، 1973 ، ص. 262.

6 – ابن سعيد، المصدر السابق، ج 1 ، ص. 324.

7 – ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص. 340 و الخشني ، المصدر السابق، ص. 284 .

8 – الزبيدي ، المصدر السابق ، ص. 262.

9 – نفسه.

10 – نفسه و الخشني، المصدر السابق ، ص. 384 .

11 – نفسه.

جزل الشعر، يسلك في أشعاره مسالك العرب القديمة،(...) له حظ من الفقه والرواية و لم تشهر عنه لغلبة الشعر عليه"[12].

كان لعباس أيضا علم بالتنجيم حتى إن عبد الرحمن الثاني الأموي بعثه إلى العراق "في التماس الكتب القديمة، فأتاه بالسند هند وغيره منها، وهو أول من أدخلها الأندلس وعرف أهلها بها ونظر هو فيها"[13]. ونظرا لقوة معرفته بهذا العلم وإيمانه به فقد حكي عنه أنه لما تولى القضاء "لا يقضي حتى يقيم الطالع فما أراه علم النجوم قضى به"[14]. وبغض النظر عن مدى صحة هذه الحكاية فإن نسجها يدل قطعا على علو كعبه في هذا التخصص.

رغم معرفته باللغة والفقه والنجوم، فإن شهرة عباس بن ناصح ارتبطت بالشعر أكثر. فالرازي يعتبره فحل شعراء الأندلس قاطبة كما أن شعراء قرطبة كانوا يأخذون عنه ويؤثره أمراء بني أمية على غيره[15]. وقد كان يتعمد السير على نهج شعراء العرب الأوائل في اختيار الألفاظ والعبارات والمعاني[16]. وكثر الإقبال على شعره ووضعت له الشروح[17]، وكان وسيلته لتحقيق مآربه عند الحكام.

3 – أبناء وحفدة عباس بن ناصح

ترك عباس بن ناصح ابنا اسمه عبد الوهاب ورث عنه كل شيء. ورحل بدوره إلى المشرق سيرا على خطى والده، فسمع من سحنون بالقيروان وأصبغ بن خليل بمصر[18]. وكان بدوره شاعرا[19].

وخلف عبد الوهاب ابنه محمدا الذي رحل إلى المشرق مع ابن بدرون، وكان "فقيها، حافظا للمسائل والرأي، بصيرا بالفتيا على مذهب مالك - رحمه الله - وأصحابه." و "عالما باللغة والإعراب والشعر(...)شاعرا"[20]. اشتهر بالرسوخ في العلم[21].

---

12 – ابن الفرضي، المصدر السابق، ج 1 ، ص.341.
13 – ابن سعيد، المصدر السابق، ج 1 ، ص. 45.
14 – مجهول، مفاخر البربر، المطبعة الجديدة ، الرباط، 1934 ، ص. 62.
15 – ابن سعيد، المصدر السابق، ج 2، ص. 324-325.
16 – الزبيدي، المصدر السابق، ص. 262.
17 – عياض، المصدر السابق، ج 4، ص. 268.
18 – ابن الفرضي، المصدر السابق، ج 1 ، ص. 327 وعياض، المصدر السابق ، ج 4، ص. 268.
19 – عياض، المصدر السابق ، ج 4، ص. 268.
20 – ابن الفرضي، المصدر السابق، ج 2 ، ص. 43 والخشني، المصدر السابق، ص. 164.
21 – الخشني،المصدر السابق، ص:4.

وجاء بعد محمد ابنه عبد الوهاب وكان بدوره "حافظا للرأي والمسائل متصرفا في اللغة والإعراب، مطبوعا في قول الشعر"[22]. وتختلف المصادر حول تاريخ وفاته، فابن الفرضي يضعها في عام 328هـ / 938 م[23]، في حين يجعلها عياض في سنة 323هـ / 933م[24].

وتغيب عنا أخبار هذا البيت بعد ذلك، إلا أن العبارة التي ختم بها عياض كلامه عن عبد الوهاب بن محمد والتي تقول: "والنباهة والعلم باقيان في بيتهم إلى وقتنا هذا بالجزيرة، وأدركنا منهم أبا عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، وكان من فقهائها المشاورين بها، وتوفي بها"[25]، كافية لتثبت أن هذا البيت حافظ على أمجاده ومكانته -على الأقل- حتى منتصف القرن 6هـ/12م.

لقد اهتم آل عباس بن ناصح بالعلم واكتسبوا تقاليد علمية حافظوا عليها بغيرة مثل الرحلة إلى المشرق؛ وخاصة إفريقية ومصر والحجاز، وإتقان العربيـــة والفقه ونظم الشعر. لقد كان العلم سلاحهم ومصدر فخرهم ومجدهم وهو المفتاح الذي دخلوا به المجتمع الأندلسي وتسربوا إلى أوساط نخبته.

4 – اتصال آل عباس بالأمويين

منذ عودته من المشرق، انشغل عباس بن ناصح بالتقرب من الحكم الأموي "فلم يزل مترددا على الحكم بن هشام بالمديح، ويتعرض للخدمة"[26]. كما عبر عن تأييده للأمويين وعارض كل حركة ثورية تهدده. ففي بداية القرن 3هـ/9م أعلن عداءه الصريح لثورة خارجية بالجزيرة وحرض الحكم الأول على قمعها في شعر بعثه إليه جاء فيه:

صل بالإفيل الذي ربوا لفتنتهم & من قبل أن يرحلوه نحونا جذعا

وهو ما استجاب له الحكم بخروجه بنفسه إلى الجزيرة "ونزل على بابها وحمل السيف على أكثر أهلها"[27].

وكان الحكم يأنس به كثيرا ويواكبه في الغزوات "ويعجب بفصاحته"[28]. وهو ما يدل على تحوله إلى مجالس ومنادم للأمير في بعض الأوقات.

---

22 – نفسه، ص. 266 وابن الفرضي، المصدر السابق، ج 1 ، ص. 327.
23 – نفسه.
24 – عياض، المصدر السابق، ج 4، ص. 269.
25 – نفسه.
26 – ابن الفرضي، المصدر السابق، ج 1، ص. 340 والزبيدي، المصدر السابق، ص. 263 وابن سعيد، المصدر السابق، ج 1، ص. 324.
27 – ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس ، دار النشر للجامعيين، ص. 71 والخشني ، المصدر السابق ، ص.284.
28 – نفسه.

في عهد عبد الرحمن الثاني كلف عباس؛ كما سبق لنا ذكره، بالسفر إلى العراق وجلب كتب التنجيم.

إن تكرار مدحه للحكم وطلبه الخدمة إشارة وتلميحا وانضمامه الغير المشروط للقضية الأموية في أوقات عصيبة، جعلت عباس يحظى لديه فعينه قاضيا على الجزيرة وشذونة[29]. وقضى في المنصب - حسب صاحب مفاخر البربر- سبع سنوات من أواخر عهد الحكم وبدايات حكم عبد الرحمن الثاني، وأدركته منيته وهو قاض[30]. ويبدو أنه نال القضاء مكافأة له على ولائه وليس بناء على تفقهه. ومن الطرائف التي تحكى عنه - كما أشرنا أعلاه - أنه يعتمد التنجيم في أحكامه. وورث القضاء لأبنائه.

انتقل قضاء الجزيرة وشذونة إلى عبد الوهاب بن عباس[31]، ويظهر أن ذلك لم يحصل فقط بفعل الوراثة ما دام قد تلقى تكوينا فقهيا مهما على يد أشهر شيوخ عصره في الأندلس أمثال: يحي بن يحي الليثي وعبد الملك بن حبيب، وسحنون بن سعيد بالقيروان وأصبغ بن الفرج بمصر، وهما مرجعا أهل الأندلس في الفقه المالكي. ومات قاضيا على الكورتين.

انتقل القضاء في الكورتين إلى محمد بن عبد الوهاب[32]، وهو فقيه وحافظ للمسائل ومفتي على مذهب المالكية[33]. وهذه الخصال تجعل منه أحد كبار علماء الأندلس من أقران عبيد الله بن يحي بن يحي الليثي. وهذا يجعل توليه المنصب مستحقا، وبه توقف توارث القضاء في هذا البيت - على الأقل حسب المصادر - مادام كلام عياض السالف الذكر يؤكد أنه عاد إليه في عصره في شخص أبي عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الفقيه المشاور.

---

29 - نفسه وابن الفرضي، المصدر السابق، ج 1 ، ص. 341 والزبيدي، المصدر السابق، ص.262-263.

30 - مجهول، مفاخر البربر، ص. 62.

31 - عياض، المصدر السابق، ج 4 ، ص. 268 و الزبيدي ، المصدر السابق، ص. 262 وابن الفرضي، المصدر السابق، ج 1 ، ص. 327.

32 - ابن الفرضي، المصدر السابق، ج 1 ، ص. 340 والخشني ، المصدر السابق، ص. 284 والزبيدي ، المصدر السابق، ص. 262.

33 - ابن الفرضي ، المصدر السابق، ج 1 ، ص. 43 والخشني، المصدر السابق، ص. 164.

خاتمة

تعطي أسرة بني عباس بن ناصح صورة عن تطور الأسر البربرية في الأندلس. فقد نبغت مبكرا منذ نهاية القرن 2هـ/8م، وكان لولاء النعمة الذي ربطها بثقيف أكبر الأثر في ذلك. فناصح وأسوة بمواليه تطلع إلى تكوين ابنه عباس فرحل به إلى المشرق لإتقان العربية في أحياء العرب وبواديهم، وتمكن بفضل ذلك من النبوغ في الشعر وبه تملك مفتاح دخول عالم النخب الأندلسية المحظور على غير أبنائها، وحصل على منصب القضاء ومجالسة الحكم الربضي ونيل إعجابه. وقد ورث هذا المجد لأبنائه وأحفاده.

إن تتبع العلوم التي نبغت فيها هذه الأسرة يبين أنها ركزت على علوم العربية والشعر والفقه، فكل أفرادها أتقنوا العربية ونظموا الشعر وعرفوا الفقه المالكي الذي ازدادت علاقتهم به رسوخا مع تقدم السنين، إذ انتقلنا من معرفة سطحية مع عباس المؤسس إلى الاجتهاد والفتيا وإبداء الرأي مع حفيده محمد.

وحافظت الأسرة على بريقها ولمعانها لأكثر من قرن قبل أن تتراجع إلى الظل دون الاندثار الكامل لأن أثرها استمر حتى القرن 6هـ/12م.